مجلّة العربية المجلد 08 العدد01
(EISSN :2602-5434) -(ISSN:2437 -0231) (ص: 26-44)

جدليّة التلقي للفكر اللساني العربي

The dialectic of reception for Arab linguistic thought

مشوار فاطيمة
طالبة دكتوراه
جامعة وهران 01
البريد المهني:mechouar.fatima@edu.univ-oran1.dz
الجزائر

تاريخ الإرسال:2020/07/16 تاريخ القَبول: 2021/06/05 تاريخ النّشر:2021/06/15

ملخّص:

انفتاح الثقافة اللّغوية العربيّة الحديثة على اللسانيات وضعت الباحث اللسانياتي العربي ضمن إشكالٍ ثقافي، وهذا رغم الجهود الحثيثة في دمج الفكر التراثي والحداثي، إلاَّ أنّ هناك تعثراً في البحث العلمي الممنهج القادر على نقل الدراسات اللغوية العربية من مرحلة الاستهلاك والاجترار العقلي إلى مرحلة الإنتاج .بناءً على ما سبق يمكننا تبنّي الإشكاليات التالية: هل الدراسات النحوية الحداثية امتداد للتراث أم أن بينهما قطيعة إبستيمولوجية؟ أم هناك إمكانية للتوفيق بين النحو بمفهومه التراثي مع المنحى الوظيفي الحداثي؟

الكلمات المفتاحية: التراث اللغوي؛الفكر النحوي؛ اللسانيات؛ النحو الوظيفي.

Abstract: The openness of the modern Arabic linguistic culture to linguistics has placed the Arab linguist researcher within a cultural problem, This is despite great efforts to integrate heritage thought with modernist thought.

However, there is a systemic failure in transferring Arabic language studies to the production stage, Are modernist grammatical studies an extension ofheritage, orbetween them an epistemological break? Or is there a possibility to reconcile them?

Keywords:linguistic heritage; Grammatical thought; Linguistics; Functional grammar.

1- مقدّمة:

يعتبر التراث ذاكرة حية حاملة للثقافة الحضارية، حيث يعرفه عبد القادر الفاسي بقوله: «فالتراث في تصورنا إما معطيات اللغة الموصوفة، وإما مفاهيم وصفية، أصول وتأملات وعلى هذا نضطر إلى التفريق بين النسق الفكري وبين المعطيات. ودراسة المعطيات الموجودة في هذا التراث يمكن أن تستعمل لبناء نحو اللغة العربية القديمة، ودراسة النسق المفاهيمي النحوي/اللغوي يهدف إلى التأريخ للفكر "أو الإبستمولوجيا»[1]

إن علماء اللغة العرب قد تركوا لنا تراثا ثرياً علميا ضخما امتد إنتاجهم العلمي عدة قرون، وقد تناوله بالدراسة بعض الدارسين اللغويين العرب في زماننا، واتسمت هذه الدراسات بنوع من التفاوت في القيمة العلميّة لأنهم لم يمتلكوا الأدوات اللازمة لمعالجته من ذاته و لأجل ذاته، فهناك من تشدد في بناء نظريات حول مفاهيم هذا التراث وحول منبعها وتطورها، وهناك من اختزله من دراساته، وهناك من وافق بين ذاك وذاك فتراثنا اللغوي العربي ثري في مادته ومنهجه، ينتظر من يبث فيه الحياة بآليات ومناهج جديدة تثريه وتبين للقارئ العربي والغربي مدى الجدة والبعد الحضاري الذي يميزه عن باقي الحضارات .

2-الفكر النحوي

ترك العلماء القدامى فكراً لغوياً خصباً تجلّى في مؤلفات عديدة تناولت الظاهرة اللغوية استقراءً واستنباطاً ثم تقعيداً كل هذا كان يصب في بوتقة علم النحو الذي اتسعت مجالاته فشهد ظهور مدارس نحويّة عالجت القضايا النحوية في أصولها وفروعها وأثْرت المكتبة العربية ومنه يعرف علي أبو المكارم الفكر النحوي: بـ «ذلكم النتاج الذي استخرجته عقول النحاة العرب من التفكّر في اللغة وتعمّق النظر فيها والوقوف على طريقة

العرب في كلامها و"معهود خطابها" وفق أسس ومبادئ ومنطلقات منهجية بنوا عليها ذالكم الفكر ويمثّله في الحضارة العربية الإسلامية تراث ضخم من القواعد والضوابط والتفاسير والتعليلات التي حاول بها نحاة العربية إدراك سرّ هذه اللغة الشريفة في أساليبها وتراكيبها وانتظامها»[2].

أي حصيلة النتائج لعمليات عقلية المبنيّة على أسس ومنطلقات منهجيّة قامت بدراسة اللغة وتقنينها ضمن قواعد، أتت نتيجة الشعور بمسؤوليّة الحفاظ على سلامتها، فنجد العالِم اللغوي القديم يتسم بالموسوعيّة في الطرح العلمي للغة الوحي ومن أهم المؤلفات التي وصلت إلينا التوليفات اللغوية للخليل ودستور النحو العربي الكتاب لسيبويه هذا الأخير «عزل عن النحو كثيراً من القضايا البعيدة عن ميدانه بشكل واضح ومهّد بذلك الطريق للمباحث النحوية الخالصة » [3]، فكان أهم مرجع غَرف منه النحويون القدامى والمحدثون.

3-قراءة نقديّة في الدرس اللّساني العربي:

القرآن الكريم هو العامل الأساس في بقاء اللغة العربية لُحمة قوية وحية قائمة محتضنة للثقافة العربية لكن تشَكُّل الدرس اللغوي لصيانتها من التصدع أخذ منحى مغايراً من تشعب وتعقيدات وكثرة قواعده فكثرت مغاليقه وتعسَّر فهمه ومن الانتقادات التي وجهت إلى النحو القديم:

أ. التوثيق اللغوي للقاعدة النحوية أغلبها استقراء من كلام العرب من قبائل محددة وفترة زمنية معينة فـ «لم يعتمدوا الاعتماد الكامل على النص القرآني »[4]، وهذا الاختلاف في أخذ المادة اللغوية الخام نلمسه فيالمدارس النحوية.

ب. الاستعانة بنظرية العامل - تصور فلسفي- والتأويلات و التخريجات في إعطاء المبررات للحركة الإعرابية و التي اعتمدها بعض النحاة في الأحيان تنم عن افتقاده -النحو- «للمنهج العلمي الموضوعي وإنما يعتمد على المنهج الذاتي

وتأثره بالمنطق والدليل على ذلك نظرية العامل، وتداخل مستويات التحليل اللغوي، وقيامه على أساس معياري»[5].

ج. العناية بالمصطلحات النحوية إلى درجة التقديس وإهمال المضمون جعلت النحاة يسيرون على منهج لا يوجد فيه اختلاف كبير «بل وعليه أن يغالي في فلسفة المصطلحات النحوية وعملها وأثرها في الشكل مع إهمال المضمون »[6].

د. اهتمامه بالكلمة وأقسام الكلمة فـ «النحو العربي يكاد يخلو من نظرية واضحة في شأن الجملة»[7].

وخلاصة هذه الانتقادات أن نظرة سلبيّة تكونت تجاه النحو فهم يرون أنه قد بليت جِلدتُه ولم يعد مواكبا في تحرير اللغة العربية في عصرنا من وضعية الرف الحامل للثقافة إلى كائن منتج مبدع، لكن «المتأمل لقواعد النحو العربي يظهر له أن أحكام النحو العربي وقواعده لم تكن كلها تأويلا أو تقديرًا أو تعليلاً، وإنما كانت تسير وفق استعمال العرب المطرد في كل ظاهرة نحوية وتتكرر في كتاب سيبويه عبارات تدل على ذلك» [8] وعليه يجب النظر بموضوعية وعلمية أشمل وأدق لهذا الإرث القومي والحضاري.

4-المفارقة بين النحو واللسانيات

نلحظ وجود التباس واضح في العلاقة بين النحو واللسانيات، بالرغم من اختلاف المرجعيات الثقافية لكل تفكير لغوي فهناك من يرى «أن اللسانيات الحديثة هي نفسها الدراسات النحوية واللغوية القديمة مع تغيرات شكلية طفيفة لا وزن ولا قيمة لها» [9]، وهناك من يرى تجذُر اللسانيات عند العرب بقوله: «بل بدأت عندنا منذ بداية الفكر اللغوي العربي مع أئمة النحو واللغة أمثال، الخليل وسيبويه ومن جاء بعدهم»[10].

فلو أعملنا الفكر قليلا وتساءلنا هل لغة المدونة النحوية التي كانت في زمان ومكان مغاير هي ذاتها لغة اليوم، والمرجعية والتصورات الفكرية

المستوحاة من نسقها القديم هي نفسها المرجعية والتصورات الجديدة المستمدة من لغة اليوم في نسقها الحديث يعني أن النظرية والمنهج اللذين أُتبعا في الفكرين القديم والجديد لا فروق جوهرية تُذكر بينهما وعلى أساس هذا الإلغاء يُحيلنا إلى استفهام آخر وهو لماذا الذخيرة اللغوية التي جمعها الخليل لا نجد لها ممارسة فعلية وظيفية في الحياة اللغوية بل فقط هي حبيسة معجم العين؟

فالبحث في تأصيل الأُطر التاريخية لهذا العلم في الرصيد الثقافي يُبعدنا عن المقصد الأساس من هذا العلم «وواضح أنّ المقاربات المقارنة التي تغوص بعيداً بحثاً عن الجذور التاريخية للسانيات ومطابقتها للفكر اللغوي العربي القديم بشكل تلقائي وسطحي، لم تستوعب بعد أولا تريد أن تستوعب، حقيقة التحليل اللساني المتمثل في تحليل البنيات اللغوية وفق نموذج نظري محدد كما أنها لا تشجع الثقافة اللغوية العربية على الاهتمام باللسانيات واقتحام مجالاتها بالعمق المطلوب»[11].

5-الفكر اللساني الحديث

تخلص الفكر اللغوي الحديث من براثن الإشكالات الفلسفية العقيمة الكثيرة كأصل اللغات ونشأتها والمفاضلة بين الألسن وغيرها، وذلك بعد«ما جاءت به اللسانيات من روح نظرية ومنهجية جديدة قائمة على وضوح المنطلقات والبرهنة والاستدلال والصياغة الصورية وعلى الدقة في أدوات التحليل وتقنياته، وتتجلى القطيعة الحاسمة بين اللسانيات والفكر اللغوي القديم في المتطلبات النظرية والمنهجية التي طرحتها اللسانيات والمتعلقة أساسا بتحديد الموضوع وضبط المفاهيم و والأدوات الإجرائية، وتكوين مصطلحية خاصة بها، فضلا ع ن الرغبة المنهجية في استقلالية اللسانيات ذاتها والاستفادة من النتائج المحصَّل عليها في العلوم الأخرى سواء

أكانت علومًا إنسانية أم علومًا دقيقة» [12]، وعليه يمكن ذكر بعض مظاهر الاختلاف بين الفكرين فيما يلي:[13]

1.اللسانيات فكر أكثر شمولية من نظيره القديم. فهي لم تنفصل عنه ولكنها احتوته ثم عملت على تطويره وتدقيقه.

2.اللسانيات مراجعة دائمة ومستمرة للمفاهيم الجوهري ة التي تقوم عليها. فالمفاهيم اللسانية وسائر الأدوات الإجرائية التي عالجت بها مختلف التصورات اللسانية اللغة بمعناها العام والألسن الطبيعية روجعت أكثر من مرة.

3.اللسانيات أكثر تفتحاً على معارف أخرى كالمنطق وعلم النفس وعلم الاجتماع والفلسفة والإحصاء والإعلاميات وغيرها... السليم يمر عبر أربع مراحل هي:[14]

1.ملاحظة كل الوقائع وتسجيلها.

2.تصنيف هذه الوقائع وتحليلها.

3.استخراج المبادئ العامة عن طريق استقراء هذه الوقائع.

4.المراقبة التكميلية لهذه المبادئ

فالمعرفة العلمية الحديثة «تُعدُّ بمثابة معايير الاستحقاق العلمي.. بل إننا نجد اهتماما كبيراً وصدى واسعاً لهذه القضايا النظرية والمنهجية المتعلقة بنظرية العلم و منهجيته لدى كثير من المهتمين بإبستمولوجيا اللسانيات»[15].

6- الإرث اللساني وإشكاليّة تلقيّه

حظيت الدراسات العربية اليوم بنصيبها من اللسانيات، فسمح هذا الاحتكاك على المستوى العلمي بفتح آفاق جديدة بغية الكشف عن النواميس التي لاتزال خفية في اللغة العربية. ومحاولة تبني مناهج ومقولات اللسانيات الغربية -الفكر الدخيل- في دراسة الفكر اللغوي القديم خلق

صراعاً حضارياً بين دعاة القديم ودعاة التجديد ويوضح قول عبد القادر الفاسي ذلك: «القراءات من النوع الأول نفهمها على أنها مساهمة في التعريف بالتراث وإحيائه وتسهيل الاطلاع عليه والقراءات من النوع الثاني نريدها مساهمة في تاريخ الفكر اللغوي القديم » [16]؛ وعليه فالعلائقيّة بين التراث واللسانيات تولدت منه دراسات لغوية ثلاث:

1.قطب مقدس محافظ لكل ما هو تراثي لغوي قديم.

2.قطب مجدد متبنٍ لكل ما جاءت به اللسانيات الغربية.

3.قطب توفيقييحاول المزاوجة بين القديم والحديث.

7- فكرة قداسة التراث وهيمنتها

شهدت المكتبات العربية مع النهضة العربية حركة من التأليف في مجال الدراسات اللغوية العربية أمثال رفاعة الطهطاوي وأحمد فارس الشدياق وجورجي زيدان و وإبراهيم اليازجي وغيرهم ممن دعوا إلى ضرورة وضع علم النحو في إطار من التجديد الهادف إلى التيسير والتبسيط مع وجوب الحفاظ على قداسة المور وث النحوي دونما الاستعانة بالفكر الغربي الدخيل فهم يرون أنّ «اللسانيات تعتبر مادة مستوردة مضادة للتحليل النحوي العربي القديم» [17].

وهذه العصبية نتاج قصور من الباحث اللغوي العربي نفوراً أو تكاسلاً عن مسايرة التطور الفكري وهو ما شكّل أحد أزمات البحث اللساني سببه اليُتم الفكري ومثل هذه مواقف المتعصبة التي لم تستوعب بعد أساسيات العلم المعاصر، ولا تدرك أبعاده النظرية والمنهجية فهي «لا تعي حجم الإمكانات التي تقدمها النظرية اللسانية العامة للثقافة العربية الحديثة.. من أجل تطوير درسها اللغوي، استجابة لروح العصر، سعياً لإيجاد الحلول لمشاكلها اللغوية العديدة والمتنوعة» [18]؛ لم يسلم هذا القطب الذي هيمنت عليه فلسفة قداسة التراث من انتقادات عبد القادر الفاسي

ويؤكد على أهمية طرح التراث من الدراسات اللسانية العربية الحديثة فيقول: «ليس هناك ضرورة منطقية أو منهجية تفرض علينا توظيف هذا التراث.. علاوة على أنه يجب استعمال المنهج النقدي لغربلة ما هو معطى فعلي وما هو منتحل» [19]، لكن كتعقيب موجز وجب غربلة المستورد أيضا فتسمح لنا - هذه العملية - بمساءلة نقدية عادلة ومتوازنة لكليهما على أسس علمية وموضوعية دون الخضوع لأية اعتبارات مهما كانت حتى يتسنى استيعاب التراث لا اختزاله أو عده حفريات لغويّة منسية.

8- قطب الحداثة

دعا أصحاب هذا الاتجاه إلى تبني النظريات اللسانية الغربية واستيراد مناهجه وتطبيقها على اللغة العربية كما بينوا موقفهم من التراث النحوي وعللوا ذلك بلستعمال الأوائل الطرائق المتشعبة والمتداخلة في معالجة قضايا اللغة العربية التي تعسر معها فهم التصورات المبنية على منهج قديم لا يتأتى لأيٍّ كان أن يصبر أغواره - النحو القديم- أدى إلى النفور الواضح لغاية يومنا من هذا العلم «الخطأ الأول في تصور التراث هو اعتقاد أن لابد من توظيفه في بناء نحو يصف اللغة العربية، ونصحح ذلك بالقول إن التوظيف غير ضروري. وحين يتم هذا التوظيف لا يمكن أبدا أن يكون توظيفا في نحو اللغة الحالية لأن هذا يؤدي إلى خلط بين نسقين مختلفين. وهذا خطأ ثان.

أما الخطأ الثالث، فهو اعتقاد أن الآلة الواصفة للغة العربية الحالية أو القديمة تحتاج ضرورة إلى مفاهيم القدماء وأصولهم، أو بعبارة إلى الفكر النحوي العربي القديم» [20]، فهو يوجه فكرنا إلى ماهية التراث اللغوي، ثم في كيفية استغلال هذه المادة المعرفية الدسمة وتوظيف آلياتها الإجرائية في وصف اللغة الحالية أو القديمة دون مراعاة الظروف التي نتج فيها كليهما تشكل محطة توقف استقرائيّة هامة.

ولقد أشار عبد القادر الفاسي إلى ارجاع المجهودات الأوليّة التي حاولت دمج اللسانيات في أحضان الثقافة العربيّة كانت منحصرة في «التركيز على هضم الكثير من المعطيات النظرية والمنهجية و النمذجة التي اعتبرت غريبة على الفكر العربي » [21]، والانكباب على حركة التأليف بين محاولة تقديم بيوغرافية اللسانيات الغربية للقارئ العربي وبين نقد الموروث النحوي، وبين ظهور حركة هزيلة لترجمة المفاهيم اللسانية فهي تبدو «عمليةً غيَر مدروسة ولا مخططاً لها، وإنما كانت جهوداً عشوائيةً لا تتبع أسلوب الانتقاء الواعي للنصوص» [22].

ومن ثمة تظل علاقة اللسانيات العربية بنظيرتها الأوروبية والأمريكية في مستوى الاقتباس السطحي الذي لا ينفذ إلى استيعاب عمق الأسس التصوُرية للنظرية اللسانية العامة.. فما أحوج اللسانيات العربية بمختلف تصوراتها وفروعها إلى وضوح الرؤية المنهجية» [23]، فالمشكلة هنا تكمن في عملية فهم المنتج النظري والمنهجي وما يحسن أن يقابله من تطبيق في اللغة العربية أي المعرفة الدقيقة للمفاهيم والتصورات النظرية وتحديد الإجراءات التطبيقية الخاصة بها.

والجهل بهذه الآليات مبرر يدل على عجز الباحث اللساني العربي وقصور استيعابه والنتيجة إما تغليب نظرية على حساب نظرية أو الميل إلى إبعاد المناهج اللسانية الحديثة بحجة خصوصية هذا الفكر اللغوي الدخيل على اللغة العربية التي لها ما يُميزها عن باقي اللغات و بالتالي اصدار جملة من الأبحاث اللغوية اللسانية القاصرة عن احتواء الفكر اللغوي العربي أو مجموعة من الأحكام اللامنهجية -الاعتباطية-المتداخلة غير السليمة ومكمن الداء هو ادعاء العلمية والمنهجية «وهذه الظاهرة تأخذ أشكالا متعددة، من تصور خاطئ للعلم، إلى تصور خاطئ للافتراضات العلمية خاطئ للافتراضات العلمية، إلى تصور خاطئ لما يُعتبر تطبيقا لنظرية ما.. » [24].

ويضرب عبد القادر الفاسي لذلك مثالا «فتمام حسان مثلا، شأنه شأن الوصفيين يرفض العلة ونظرية العامل، والإعراب التقديري، وعددا من الأصول والمفاهيم الموجودة في التراث» [25]، فتجده تمام حسان يبرر ذلك بقوله: «قصدي في هذا الكتاب أن أحذف من النحو ما يستغني النحوي عنه وأنبه على ما أجمعوا على الخطأ فيه» [26].

9- لسانيات التراث

ظهر اتجاه يدعو إلى ضرورة استثمار اللسانيات الغربية التي وردت إلينا نتيجة الانفتاح المعرفي في قراءة الفكر اللغوي القديم «إذ تمَّ في إطار ما أصبح شائعاً تحت عبارة إعادة قراءة التراث اللغوي أو إعادة التشكيل ؛تأويل الموروث اللغوي العربي وفهمه فهما جديداً في ضوء ما تقترحه اللسانيات من نظريات وبالتالي باتت قضايا اللسانيات جزءًا من معضلة فكرية أكبر هي إشكالية الأصالة والمعاصرة. وقد سمينا هذا الضرب من البحث اللغوي بـ لسانيات التراث» [27].

ومن رواد هذا القطب الجزائري الحاج صالح، ومن مصر تمام حسان ومن المغرب المتوكلويعرفها مصطفى غلفان بقوله: «تتناول لسانيات التراث موضوعاً ما كتبه اللغويون والنحاة العرب القدامى حول اللغة العربي، وذلك بشرح آرائهم وتأويلها في إطار مقارنة مباشرة أو ضمنية بين التراث اللغوي العربي القديم والنظريات اللسانية الحديثة أما لسانيات الأداة (ما يسميه الفاسي الفهري لسانيات الظواهر) فتتناول اللغة العربية بالدرس والتحليل من حيث إنها بنية من مستويات مختلفة» [28]، وأصحاب هذه لسانيات التراث هم من يُعرفون بإعادة قراءة التراث العربي القديم ومن ثم اكسابه حُلة حداثية من منطلق النظريات اللسانية الحديثة محافظين على ما يحتويه من قيَّم تاريخية وأبعاد حضارية.

10- التوجه الوظيفي في اللغة العربية

ظهر جيل جديد من الباحثين أدرك كيفية تسخير الأبعاد النظرية للسانيات المعاصرة من بنيويّة وتحويليّة وتوليديّة ووظيفيّة في دراسة اللغة العربية، فكانت أعمالهم تتسم أكثر بالمنهجيّة مما انعكس ايجابا على تنمية الدرس اللساني العربي وتطويره أمثال أعمال أحمد المتوكل الذي تبنى النظرية الوظيفية وتأثر بالآراء الوظيفية للهولندي **سيمون ديك .SimonC Dik**و تعود أصول هذا الاتجاه إلى حصيلة جهود لسانية أمثال مدرسة براغ والمدرسة النسقية.. وهي نظرية تركز على أهم وظيفة للغة وهي التواصل فاللغة بنية تنقل تجارب المتكلمين، فهي ظاهرة تداوليّة. ويدعو أحمد المتوكل مَن يحاول وصف اللغة الطبيعية وتفسير خصائصها أن يتخذ «نظرية النحو الوظيفي(وكل نظري مؤسسة تداوليّاً) إطاراً »[29].

10-1مهام اللسانياتي في المنحى الوظيفي

تكمن مهام اللسانياتي المشتغل بنظرية النحو الوظيفي في : «في بناء نسقين من القواعد كلاهما يكتسي طبيعة اجتماعية:

أ. نسق القواعد التداولية التي تحكم التفاعل الكلامي باعتباره نشاطاً تعاونياً مبنياً.

ب. نسق القواعد الدلالية والتركيبية والصوتية التي تحكم العبارات اللغوية المستعملة بصفتها أدوات لذلك النشا» [30]؛ فالنسق الأول يشير إلى لغة التواصل والحوار بين المخاطَب والمخاطِب في حوار استلزامي مبدأه التعاون الذي اقترحه بول غرايس Paul Grice- فلسفة اللغة - في التداولية.

أما النسق الثاني هو تكملة للنسق الأول الذي هو تطبيق آلية من آليات اللسانيات من دلالة وتركيب وصوت (البنية السطحية والبنية العميقة) لذلك التواصل لتندمج في النسق الأول لسانيات تداوليّة.

10-2حَدُّ النظريّةِ الوظيفيّة المثلى

يهدف المشروع المتوكلي منذ 1982 إلى تأسيس نحو وظيفي للغة العربية يقول:« النظرية التي تنطلق من مبدأ أدائية اللغة مُرجعة وظائفها الممكنة إلى وظيفة التواصل وتؤسس على هذا المبدأ وصف بنية اللغات صرفاً وتركيباً وصوتاً وتطورها. وهي كذلك النظرية التي تجعل من وظيفة التواصل أساسا للبحث في إشكالات التنظير اللساني الكبرى كإشكال اكتساب اللغة وإشكال الكليات اللغوية»[31]، هي نظرية تنطلق من مدى انطباق المبادئ التي ذكرها في مؤلفه المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي (أداتية اللغة، وظيفة اللغة الأداة، اللغة والاستعمال سياق الاستعمال، اللغة والمستعمل، القدرة اللغويةالأداتيّة وبنية اللغة..) هذه المنطلقات الأولية المنتهجة، كلها تؤمن بوظيفية اللغة.

لقد حاول في البداية وضع لبِنة أولى لإعادة قراءة التراث العربي القديم بغية بلور ة أصالة هذا المور وث اللغوي مع امكانية استثماره وفق قراءة حداثيّة «إلا أننا سنقترض، في وصفنا لهذه الوظائف كلما دعت الحاجة إلى ذلك، تحليلات ومفاهيم من الفكر اللغوي العربي القديم نحوه وبلاغته. في هذا الصدد نشير إلى أننا (المتوكل 1982) وضعنا لبنة أولى لمنهجية تُمكن من إعادة قراءة الفكر اللغوي القديم (وكل فكر لغوي قديم بصفة عامة) وإدماجه في الفكر اللساني الحديث واستثماره في وصف اللغات الطبيعية بما فيها اللغة العربية وما يتفرع عنها»[32].

فالمنحى الوظيفي مُتجذّرٌ أصيل عند العرب في تراثهم اللغوي التليد «في عمقه فكر وظيفي من حيث مفاهيمه ومنهجه وقضاياه »[33]، حيث « يسعى لسانيو هذا المنحى في إنجاز مشروع ذي شقين: إضاءة نسق اللغة العربية صرفا وتركيبا واستعمالها فصحى ودوارج في مختلف القطاعات الاقتصادية- الاجتماعية من منظور مبدأ تبعية البنية الوظيفي بالتنظير العربي التراثي للدلالة منظوراً إليه في مُجمله نحواً و بلاغةً وفقه لغة وأصول فقه وتفسيراً»[34].

10-3نحو اللغة العربيّة الوظيفي عند أحمد المتوكل

حاول أحمد المتوكل «وصف بنية اللغات الطبيعة يربطها بما تؤديه هذه اللغات من وظائف داخل المجتمعات البشرية» [35]من منظور النحو الوظيفي وصفا وتفسيراً، حيث اعتمد في تحليلاته على ثلاثة مستويات مستقلة مميزاً بين الوظائف كالتالي:[36]

- الوظائف الدلالية (منفذ، متقبل، مستفيد، أداة..)

-الوظائف التركيبية. (الفاعل، مفعول)

-الوظائف التداولية وتضم(محور، بؤرة، مبتدأ، ذيل)

سنحاول وضع مخططات مبسطة توضيحية لهذه الوظائف الثلاث استخلصناها من مجموع مؤلفات أحمد المتوكل أهمها: اللسانيات الوظيفيةفي الفكر اللغوي العربي الأصول والامتداد، والمنحى الوظيفي، الوظائف التداولية في اللغة العربية.

1-الوظائف الدلاليّة : تعيين مختلف الأدوار التي تقوم بها الحدود في بناء الوقائع التي ترد محمولات في البنية الحمليّة: محمول (فعل، أو اسم، أو صفة أو ظرف)، ينظر الشكل 01 و02 ، والشكل03:

2-الوظائف الـتركيبيّة: قُلصت في النحو الوظيفي إلى وظيفتين الفاعل والمفعول، ينظر الشكل 04:

3-الوظائفالتداوليّة: تتضمن متحدث وظائف داخلية وخارجية، ينظر الشكل 05:

ملاحظه: كما استدركوظيفة خامسة وهي المنادى، المُكوّن الدال على الكائن المنادى في مقام معين وهي: أربعة أدوات أداةالنداء صفر، و أيّها، و يا، و الهمزة.

- المخطط الأول:

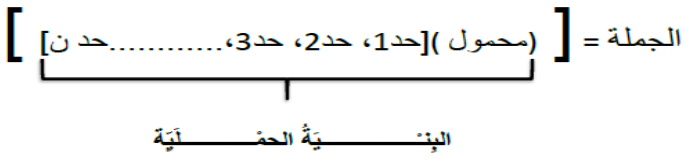

الشكل 1:البنيّة الحمليّة

- المخطط الثاني:

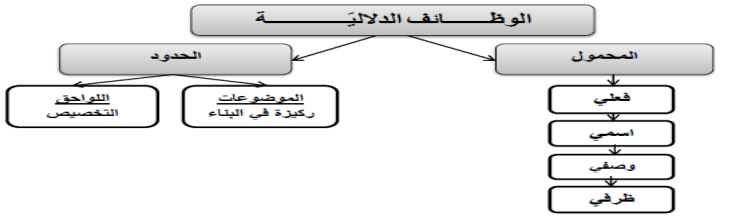

- المخطط الثالث:

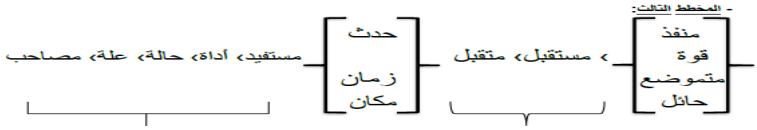

الشكل 2 و3:الوظائف الدلاليّة

المخطط الرابع:

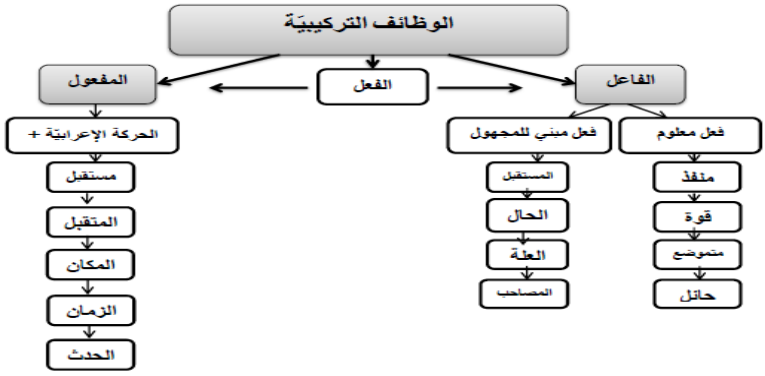

الشكل 4:الوظائف التركيبيّة

المخطط الخامس:

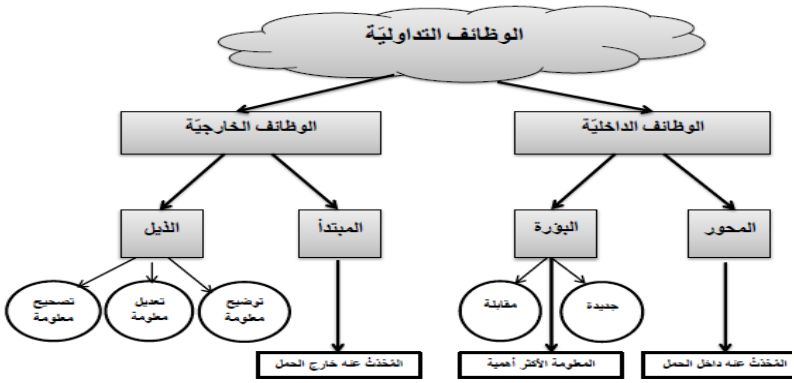

الشكل 5:الوظائف التداوليّة

11- خاتمة

إنّ إمكانية ميلاد لسانيات عربية أصيلة من رحم الثقافة العربية في خضم هذا التلاقح الفكري يُعد من بين الأزمات التي تحول دون بلورة علم لساني عربي معاصر خالص . وحتى تحظى اللغة العربية بدراسات لغوية بالمفهوم المعاصر يجب:

أ. إعادة قراءة التراث قراءة إبستمولوجية.

ب. هيكلة الإرث "الفكري واللغوي" العربي القديم بعقد حوار علمي مع الفكر النظري اللغوي الحديث.

ج. المساءلة النقديّة الموضوعية العلميّة للموروث والمستورد .

د. القدرة على استيعاب الآخر والانتفاع بإضافاته الفكريّة والمعرفيّة دونما تعصب أو طمس لهوية الثقافة العربيّة.

هـ. ضرورة تضافر الجهود الفكريّة والمعرفيّة من أجل تجاوز عقبات البحث العلمي وضمان سيرورة البحث.

و. الارتقاء بالبحث اللغوي في جانبيه النظري والتطبيقي.

ز. ضرورة استثمار الذخيرة اللغويّة وحوسبتها وإدخال التقنيّة فيالدرس اللغوي العربي.

ح. العمل على توحيد العمل لتجنب أزمات البحث اللساني من قبيل فوضى المصطلح، الفهم المنحرف للمفاهيم اللسانيّة الحديثة.

ط. التكوين الملائم والمناسب للباحث اللساني العربي.

نأمل مستقبلا أن يتسم البحث اللساني العربي بالنضج العلمي حتى نعيد للغة العربيّة ديناميكيّة التواصل التي تميزها.

12- المصادر والمراجع:

1- عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية "نماذج تركيبية ودلالية"، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ،ط3، 1993.

2- محمد عبد الفتاح الخطيب ، ضوابط الفكر النحوي : تح: عبده الراجحي ، دار البصائرالقاهرة، د ط، 2006 ،ج1.

3- حسن عون، تطور الدرس النحوي، قسم البحوث والدراسات الأدبية واللغوية، د ط 1970.

4- كاصد ياسر الزيدي، دراسات نقدية في اللغة والنحو، دار أسامة للنشر والتوزيع الأردنط1 ،2003.

5- محمد محمد داود، العربية وعلم اللغة الحديث، دار غريب، مصر د ط، د ت، 2001.

6- خليل أحمد عمايرة، في نحو اللغة وتراكيبها منهج وتطبيق، عالم المعرفية، جدة، ط 1 1984.

7- عبد السلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية، الدار التونسية للنشر، تونسد ط، 1986.

8-مصطفى غلفان، اللسانيات العربية "أسئلة المنهج"، دار ورد الاردنية، الأردن، ط 1 2013.

9- حافظ إسماعيلي علوي، حوار اللغة، منشورات الزاوية، دار أبي رقراق، الرباط، ط 1 2007.

10-حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصر، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2009، ص346

11-فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس العربي الحديث دراسة في النشاط اللساني العربي، إيثارك للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 2004.
12- تمام حسان، مناهج البحث في اللغة مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، د ط، 1955
13- أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية بنية المكونات أو التمثيل الصرفي التركيبي، دار الأمان، الرباط، د ط، دت.
14-أحمد المتوكل، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الأصول والامتداد، دار الأمان الرباط، ط1، 2006.
15- أحمد المتوكل، الوظائف التداوليّة في اللغة العربية، دار الثقافة، الدار البيضاءالمغرب،ط1، 1985.

13- الهوامش:

([1])عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية "نماذج تركيبية ودلالية"، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ،ط3، 1993، ص60

([2])ينظر: محمد عبد الفتاح الخطيب ، ضوابط الفكر النحوي : تح: عبده الراجحي ، دار البصائر، القاهرة، د ط، 2006 ،ج1، ص17-18-19.

([3])حسن عون، تطور الدرس النحوي، قسم البحوث والدراسات الأدبية واللغوية، د ط 1970، ص31.

([4])كاصد ياسر الزيدي، دراسات نقدية في اللغة والنحو، دار أسامة للنشر والتوزيع الأردن،ط1، ،2003 ، فصل2، ص86.

([5])محمد محمد داود، العربية وعلم اللغة الحديث، دار غريب، مصر د ط، د ت ، 2001 ص169- 170.

([6])خليل أحمد عمايرة، في نحو اللغة وتراكيبها منهج وتطبيق، عالم المعرفية، جدة،ط 1 1984، ص35.

([7]) عبد السلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية، الدار التونسية للنشر، تونسد ط، 1986، ص148.

([8])محمد محمد داود، المصدر نفسه، ص171.

([9])مصطفى غلفان، اللسانيات العربية "أسئلة المنهج"، دار ورد الاردنية، الأردن، ط 1 2013، ص45.

([10])المرجع نفسه، ص16.

([11])المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

([12])المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

([13]) ينظر: المرجع نفسه، ص14- 15.

([14])ينظر: المرجع نفسه، ص18.

([15])المرجع نفسه، ص20.

([16]) عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية،ص60.

([17])مصطفى غلفان، اللسانيات العربية "أسئلة المنهج"، ص29.

([18])المرجع نفسه، ص28.

([19])ينظر: عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية ،ص60.

([20])المرجع نفسه، ص60-61.

([21]) حافظ إسماعيلي علوي، حوار اللغة، منشورات الزاوية، دار أبي رقراق، الرباط، ط12007، ص12.

([22]) فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس العربي الحديث دراسة في النشاط اللساني العربي، إيثارك للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 2004 ص31.

([23])مصطفى غلفان، اللسانيات العربية "أسئلة المنهج"، ص24.

([24]) عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية ، ص57.

([25])المرجع نفسه، ص58.

([26])تمام حسان، مناهج البحث في اللغة مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، د ط، 1955 ص23.

([27])مصطفى غلفان، اللسانيات العربية "أسئلة المنهج،ص16.

([28])المرجع نفسه،ص60،61.

([29])أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية بنية المكونات أو التمثيل الصرفي التركيبي، دار الأمان، الرباط، د ط، دت ص11.

([30])حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصر، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2009، ص346.

([31])أحمد المتوكل، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الأصول والامتداد، دار الأمان الرباط، ط1، 2006، ص44.

([32])أحمد المتوكل، الوظائف التداوليّة في اللغة العربية، دار الثقافة، الدار البيضاءالمغرب،ط1، 1985، ص10.

([33]) أحمد المتوكل، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الأصول والامتداد، ص15.

([34])المرجع نفسه، ص15.

([35])المرجع نفسه، ص19.

([36])المرجع نفسه، ص91.